بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ

الحمد لله الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، الأوَّل بلا ابتداء، والآخِر بلا انتهاء، مُدبّر الكون ومُسيّره، فلا تهبُّ في هذا الكون نسمة هواء؛ ولا تطرف عين إلاَّ بإذن رب الأرض والسماء.

وأشهد ألا إله إلاَّ الله، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله وصفيُّه من خلقه وحبيبه، بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة فكشف الله به الغُمَّة وتركها على المحجَّة البيضاء؛ ليلها كنهارها، ما زاغ عنها إلاَّ هالك.

إن الجلوس في هذه المجالس لتدبُّر القرآن وتفهُّم علومه من النُّصح لكتاب الله تعالى:

قال ابن رجب رحمه الله: «وأمَّا النَّصيحة لكتاب الله: فشِدَّةُ حُبِّه وتعظيمُ قدرِه، إذ هو كلامُ الخالق، وشدَّةُ الرَّغبة في فَهْمِه، وشدَّةُ العناية لتدبُّره، والوقوف عند تلاوته؛ لِطلب معاني ما أحبَّ مولاه أن يفهمه عنه، ويقوم به له بعدَ ما يفهمه». جامع العلوم والحكم

والقلب بحاجة إلى تدبُّر القرآن:

فالقلب فيه وحشة لا تُزال إلاَّ بالأنس بكتاب الله تعالى، والتَّأمُّل في آياته، وفيه قلق وخوف لا يؤمِّنه إلاَّ السُّكون إلى ما بشَّر الله تعالى به عباده، وفيه فاقة لا يغنيها إلاَّ التَّزوُّد من حِكَمِ القرآن ومواعظه وعبره، وفيه حيرة واضطراب لا ينجيه منها إلاَّ الاعتصام بكتاب الله تعالى.

ومعنى تدبُّر القرآن : هو تفهُّم معاني ألفاظه، والتَّفكُّر فيما تدلُّ عليه آياته مطابقةً أو ضمناً؛ من الإشارات والتَّنبيهات، وانتفاعُ القلب بذلك، بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره ونواهيه، وأخذ العبرة منه. تفسير ابن كثير

وقال الزَّركشي رحمه الله: «وبالجملة؛ فالقرآن كلُّه لم يُنزله تعالى إلاَّ لِيُفْهِمَه، ويُعْلَمَ ويُفْهَمَ، ولذلك خاطب به أُولي الألباب الذين يعقلون، والذين يعلمون، والذين يفقهون، والذين يتفكَّرون». البرهان في علوم القرآن

ذكر نموذج فاشل من الاستخلاف في الأرض: قصة بني اسرائيل الذين استخلفوا في الأرض فأفسدوا.

ثم شرع تعالى يذكِّر بني إسرائيل نعمه عليهم وإحسانه فقال:

قال تعالى (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ 40) وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (41) وَلا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (42) وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43) .

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) المراد بإسرائيل: يعقوب عليه السلام، والخطاب مع فرق بني إسرائيل، الذين بالمدينة وما حولها، ويدخل فيهم من أتى من بعدهم، فأمرهم بأمر عام، يقول تعالى آمراً بني

إسرائيل بالدخول في الإسلام، ومتابعة محمد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام، ومهيجاً لهم بذكر أبيهم إسرائيل وهو نبي الله يعقوب عليه السلام، وتقديره يا بني العبد الصالح المطيع لله، كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق.السعدي

فقال: (اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) وهو يشمل سائر النعم التي سيذكر في هذه السورة بعضها، أي اذكروا نعمي عليكم الكثيرة كالإنجاء من فرعون ، وإغراق فرعون وقومه ، وجعل منهم الأنبياء والمرسلين وغيرها .

✉كل نِعْمَةٍ أَنْتَ فِيهَا فاللَّهُ مَصْدَرُهَا وَهُوَ مُبْتَدِؤُهَا، هِيَ نِعْمَتُهُ تَفَضّلَ بها عَلَيْكَ وَعَلَى سَائِرِ عِبَادِهِ، وَتَطَوّلَ بِهَا عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ.

✉فَمَا أَنْتَ فِيهِ وَمَا فِيهِ الخَلْقُ جَميعًا مِنْ عَظِيمِ نِعَمِهِ، وَتَوَالِي مِنَنه، وَدَوَامِ إِحْسَانِهِ، لَن تطيق ولن يُطِيقُوا الْقِيَامَ بِشُكْرِ وَاحِدَةٍ مِنْهَا، وَأَسْبَغَ عَلَيْكَ نِعَمَهُ ظَّاهِرَةً وَبَاطِنَةً، ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾.

✉والواجب علينا أن نقابل نِعْمَ اللَّهِ بشكره عليها، وَمِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ التَّحَدُّث بِهَا،قَالَ تَعَالَى:﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾، وَقَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ الضُّحَى11.

📑وشكر النعمة من أصول العبادة وهي خمس:

❶فعل الامر ❷وترك النهي ❸والشكر على النعماء ❹والصبر على الضراء ❺والاستغفار من الذنوب.

📝والمراد بذكرها بالقلب اعترافا، وباللسان ثناء، وبالجوارح ، باستعمالها فيما يحبه ويرضيه.

✋ولا يمكن للعبد أن يستشعر النعم إلا إذا امتلئ قلبه علم عن المنعم ،لذلك عندما تكلمنا عن الاستخلاف في الارض ، قلنا يجب ان نتعلم عن الله أسمائه وصفاته وأفعاله ، وكلما زاد علمنا عن الله،أيقنا أنه المعطي على الحقيقة وأن كل ما نمتلك ومن حولنا من النعم فمن الله وحده لا شريك له .

✉كثرة المساس يفقد الاحساس ، من سوء الأدب مع الله الانغماسَ في النعيم ونسيان المنعِم ، والاستغراق في الفَرَح، ونسيان كاشف الكَرْب والهَمّ، كثير من الناس أعتاد النعم الظاهِرَة والباطنة فملها وسئمها ، واستقلها أو أحتَقِرها، ومنهم من يجحَدها فيكفر بها،فيحق عليه العذاب ، مثل بني إسرائيل وكل من كان مثلهم .

قال تعالى (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا)58القصص

وقال تعالى (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112) النحل

✉قد مضت سنة الله في خلقه أن من كفر نعمة الله ولم يشكر الله عليها؛ يسلبها الله منه ويذيقه ضدها كما حدث مع القرى التي كفرت بأنعم الله.

✉وقفة: ما هي النعم التي نسيها آبن آدم ونسي أن يحمد الله عليها ؟

⇦نِعَمُ اللهِ على عباده كثيرةٌ لا تُحصى، وكثرةٌ كاثرةٌ لا تُستقصى، ومتتابِعَةٌ لا تنقضي،حصولُ المنافعِ ودفعُ المضارّ، بل كلُّ خيرٍ يحوزه العبدُ هو إنعامٌ من الله عليه، مِنْ عِلْمٍ وإيمانٍ، وعملٍ وذريةٍ، ومسكنٍ ودابةٍ، وسعادةٍ ونجاحٍ، قال الله -تعالى-: (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ)[النَّحْلِ: 53]، والتأمُّل في ما حولَنا يقودنا إلى استشعار نِعَم الله، قال الله -تعالى-: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)[عَبَسَ: 24]، وقال: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ)[الطَّارِقِ: 5]، يُبصر المؤمنون نِعَمَ اللهِ الظاهرةَ والباطنةَ، فيزيدهم ذلك إيمانًا ويقرّبهم إلى ربهم، اعترافًا بِمَنِّه وخيراته.

⇦هل تفكرنا في أنفسنا ، أسماعنا وأبصارنا ، وأيدينا وأرجلنا وعقولنا ، لننظر إلى من فقد شيء منها ونعلم فضل الله علينا ،تأملوا فيمن أصيب بالزهايمر أعاذنا الله واياكن ، وفي الكون آيات للسائلين ،الليل والنهار ،الهواء،...هذه الايات أرغمت الذاكرون لها على الوفاء بما عاهدوا الله عليه ، من إقامت شرعه و طاعته وتجنب معصيته.

⇦الاعترافُ بنِعَم الله مفتاحُ كلِّ خيرٍ، ويجعلُ لسانَ المؤمن يلهَج على مدار يومه وليلته بالحمد، الحمد لله ربِّ العالمينَ، وإذا أقرَّ المسلمُ بنِعَم الله -تعالى- واعترف بفضائل ربِّه التي تُحيطه استعمل هذه النعمَ في تحقيق مرضاة الله -تعالى-، هذا نبيُّ الله سليمان -عليه السلام- يدعو ربَّه: (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)[النَّمْلِ: 19]، وهذا كليم الله موسى -عليه السلام- يعاهِدُ ربَّه: (قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ)[الْقَصَصِ: 17].

(وَأَوْفُوا بِعَهْدِي) وهو ما عهده إليهم من الإيمان به، وبرسله وإقامة شرعه. ❁(الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم).

(أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) وهو المجازاة على ذلك.

▤والمراد بالعهد: وهذا العهد ذكره الله في موضع آخر فقال سبحانه (وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً)12المائدة

▤(أُوفِ بِعَهْدِكُمْ) وهو قوله تعالى (لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)12المائدة .

▤إذا أردت أن تعرف ما لك عند الله، فانظر ما لله عندك. وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ.

☜فإن الجزاء من جنس العمل.

⇦هل تسارع في مرضاته؟ هل تحاذر أسباب سخطه ؟ هل تخشاه حق خشيته؟ هل ملأ حُبُهُ قلبَك؟ هل تتبعُ رسولَه؟

✉اسمع إلى سبب استجابة الله تعالى لزكريا عليه السلام.

قال تعالى ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾الأنبياء90.

✉فاستجب له إذا دعاك، يستجب لك إذا دعوته. (سعيد مصطفى ذياب)

(وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) أي فاخشون

✉الخشية: هي الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه لقوله تعالى:" إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"28 فاطر

✉الرَّهْبَةُ: الخوفُ المُثْمِرُ لِلْهَرَبِ من المَخُوفِ، فهيَ خوفٌ مَقْرُونٌ بعملٍ.

📋قال ابن كثير : وقال ابن عباس في قوله تعالى (وإياي فارهبون) أي إن نزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره

👋قَولُهُ تَعَالَى :﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾، أمرٌ بدوامِ الخشيةِ منه سبحانه وتعالى، ونهيٌ عن الخوفِ مما سواه، فإن تقديم الضميرِ المنفصلِ: (إِيَّايَ) على الفعلِ يفيدُ الاختصاصَ.

والعلةُ في ذلك أن الذي يملكُ الآجالَ هو اللهُ، والذي يُقَسِّمُ الأرزاقَ هو اللهُ تعالى.

فَلِمَ الرهبةُ من غيره؟ وَلِمَ الخشية من سواه؟

إذا كان غيره لا يملكُ موتًا، ولا حياةً، ولا نشورًا.

وإذا كان غيره فقيرًا لا يملكُ رزقًا، ضعيفًا لا يدفعُ ضرًا.⇦سعيد ذياب

📋قال ابن كثير : وهذا انتقال من الترغيب إلى الترهيب فدعاهم إليه بالرغبة والرهبة لعلهم يرجعون إلى الحق واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والاتعاظ بالقرآن وزواجره وامتثال أوامره وتصديق أخباره والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

فقال: (وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ) وهو القرآن الذي أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فأمرهم بالإيمان به، واتباعه، ويستلزم ذلك، الإيمان بمن أنزل عليه، وذكر الداعي لإيمانهم به،

قال أبو العالية رحمه الله في قوله تعالى (وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم) يقول: يا معشر أهل الكتاب آمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم، يقول لأنهم يجدون محمداً صلى الله عليه وسلم مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .

وأيضا فإن في قوله: (مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ)

❶⇦إشارة إلى أنكم إن لم تؤمنوا به، عاد ذلك عليكم، بتكذيب ما معكم، لأن ما جاء به هو الذي جاء به موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء، فتكذيبكم له تكذيب لما معكم.

❷⇦وأيضا، فإن في الكتب التي بأيدكم، صفة هذا النبي الذي جاء بهذا القرآن والبشارة به، فإن لم تؤمنوا به، كذبتم ببعض ما أنزل إليكم، ومن كذب ببعض ما أنزل إليه، فقد كذب بجميعه، كما أن من كفر برسول، فقد كذب الرسل جميعهم.

تصديق القرآن للتوراة وغيرها، وتصديق محمد ﷺ للأنبياء والمتقدمين له ثلاث معان: أحدها: أنهم أخبروا به؛ ثم ظهر كما قالوا؛ فتبين صدقهم في الإخبار به، والآخر: أنه ﷺ أخبر أنهم أنبياء، وأنزل عليهم الكتب، فهو مصدق لهم؛ أي: شاهد بصدقهم، والثالث: أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع؛ فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الإيمان بذلك. ابن جزي

✉فلما أمرهم بالإيمان به، نهاهم وحذرهم من ضده وهو الكفر به فقال: (وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) أي: بالرسول والقرآن.

وفي قوله: (أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) أبلغ من قوله: (ولا تكفروا به) لأنهم إذا كانوا أول كافر به، كان فيه مبادرتهم إلى الكفر به،عكس ما ينبغي منهم، وصار عليهم إثمهم وإثم من اقتدى بهم من بعدهم.

📋فإن قيل : كيف قال (أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) مع أن كفار قريش بمكة قد كفروا قبلهم ؟

✉قال ابن كثير: يعني (به) أول من كفر به من بني إسرائيل، لأنه قد تقدمهم من كفار قريش وغيرهم من العرب بشر كثير، وإنما المراد أول من كفر به من بني إسرائيل مباشرة ، فإن يهود المدينة أول بني إسرائيل خوطبوا بالقرآن فكفْرهم به يستلزم أنهم أول من كفر به من جنسهم .

📋ثم ذكر المانع لهم من الإيمان، وهو اختيار العرض الأدنى على السعادة الأبدية،

فقال: (وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلا) وهو ما يحصل لهم من المناصب والمآكل، التي يتوهمون انقطاعها، إن آمنوا بالله ورسوله، فاشتروها بآيات الله واستحبوها، وآثروها.

أي لا تعتاضوا عن الإيمان بآياتي وتصديق رسولي بالدنيا وشهواتها، فإنها قليلة فانية ، فإنهم يعتقدون أن هذه المناصب - كالرياسة والمال والجاه والمآكل - تنقطع إذا آمنوا بالله ورسوله .

✉هو كل ما يُعطى من الدنيا في هذا السبيل فهو قليل، فلو أخذ هؤلاء في سبيل تبديل الحق، أو في سبيل كتمانه، أو سبيل تحريفه: الدنيا وما فيها من الأموال والكنوز، فإن ذلك يُعد قليلاً، وهذا يدل على أن ما في الحياة الدنيا من هذا الحطام أنه قليل، ولو كثُر في نظر من قصُر نظره .

⇦فالدنيا ليس فيها شيء يمكن أن يُقال عنه بأنه جدير بالعناية، وأنه شيء عظيم سوى طاعة الله -تبارك وتعالى- وعبادته، وأما هذا الحُطام فهو شيء يسير، (ومَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا) صحيح الجامع وما الدنيا!! (في الجنَّةِ شجرةٌ يسيرُ الرَّاكبُ في ظلِّها مائةَ عامٍ لا يقطعُها) الترميذي فهذه الأرض برُمتها لا يوجد فيها مثل هذه المساحة، شجرة واحدة، وكم في الجنة من الأشجار؟! وقد صح في الحديث :(ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب). صححه الألباني. فهذا الحطام كله قليل، فينبغي أن يُزهد فيه، وأن يُلتفت إلى الآخرة، وأن يُتمسك بأهداب الحق، فذلك خير وأبقى، وقد قال الله (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً]سورة الكهف:46

وما هي الباقيات الصالحات؟ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ويدخل في ذلك أيضًا سائر الأعمال الصالحة التي يُتقرب بها إلى الله -تبارك وتعالى؛ لأنها ذخائر تبقى، أما هذا الحطام فهو إن أكلته فني، وصار إلى ما قد علمتم، وإن تركته بقي لوارث، فإن تقربت به بصدقة ومعروف وصلة، فذلك الذي يبقى للعبد. خالد السبت

📋أن من اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً ففيه شبه من اليهود ، فمن يطلب العلم للدنيا والمنصب ،ومن حكم بغير شرع لله لأجل المنصب ، ومن حلل آكل الربا ومن أفتى بالهوى....الى غيره من مخالفة الشرع، ففيه شبه من اليهود.

✉محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين ، باعوا الدنيا ولذاتها لاجل الاخرة ولم يشتروا بآيات الله ثمنا قليلا،

⇦(مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ)ال عمران

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ الْبُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ) [رواه البخاري ومسلم].

✉ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ نَمِرَةً فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ.

✉ قال محمد بن عمر الأسلمي - توفي سنة (207هـ) -رحمه الله :لقد كان الرجلان يتقاولان بالمدينة في أول الزمان، فيقول أحدهما لصاحبه: لأنت أفلس من القاضي، فصار القضاة اليوم ولاة وجبابرة وملوكاً وأصحاب غلات وضياع وتجارات وأموال ! (الطبقات الكبرى)

☜وهذا يبين لنا أنّ اليهود ماديّون يريدون المادة يريدون المناصب ويريدون الدنيا.

(وَإِيَّايَ) أي: لا غيري (فَاتَّقُونِ) فإنكم إذا اتقيتم الله وحده، أوجبت لكم تقواه، تقديم الإيمان بآياته على الثمن القليل، كما أنكم إذا اخترتم الثمن القليل، فهو دليل على ترحل التقوى من قلوبكم.

✉التقوى : أن تعمل بطاعة الله ، على نور من الله، ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله، على نور من الله ، تخاف عقاب الله.

تأمّلوا بين الفرق بين (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) وقال : (وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ)

⇦ما لفرق بينهما ؟

- الفرق بينهما يعني أن الله أمرهم بالرهبة أولاً ، ثم التقوى .
- ثانياً ، فهو من باب الترقّي إذ أنّ التقوى نتيجة للرهبة ، إذا رهب الإنسان من ربه اتقاه ..
- فكأنّ الله أمرهم بالرهبة ثم أمرهم بالتقوى التي هي نتيجة ما في الآية الأولى .

ثم قال: (وَلا تَلْبِسُوا) أي: تخلطوا (الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ) فنهاهم عن شيئين، عن خلط الحق بالباطل، وكتمان الحق؛

(وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ) أي لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولي وبما جاء به (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) أي : وأنتم تجدونه مكتوباً عندكم فيما تعلمون من الكتب التي بأيديكم .

لأن المقصود من أهل الكتب والعلم، تمييز الحق، وإظهار الحق، ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين؛ لأن الله فصل آياته وأوضح بيناته، ليميز الحق من الباطل، ولتستبين سبيل المهتدين من سبيل المجرمين، فمن عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم.

ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا، مع علمه بذلك، وكتم الحق الذي يعلمه، وأمر بإظهاره، فهو من دعاة جهنم، لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين. السعدي

فالحالة الأولى فالحق إما أن يشوه ويُحرف ويُبدل، وتُغير ملامحه ومعالمه، فيبقى مُلتبسًا على الناس،

والحالة الثانية: وهي أن يُكتم الحق بالكُلية، كما جاء في حال هؤلاء اليهود، وفي خبرهم حينما سألهم النبي ﷺ عما يجدونه في كتابهم في حكم الزاني؛ لما وجد رجلاً وامرأة قد حُمما -يعني بالسواد - فسألهم عنهما، فقالوا: قد زنيا، فسألهم عن ما يجدون في كتابهم، قالوا: نجد التحميم، فدعا النبي ﷺ بالتوراة، فجاء الحبر ومعه التوراة، وقد وضع أُصبعه على آية الرجم، فقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: مُره يا رسول الله فليرفع أُصبعه، وإذا آية الرجم تلوح، فغضب هذا الحبر، وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء.

قال الشنقيطي : الحق الذي لبسوه بالباطل هو إيمانهم ببعض ما في التوراة ، والباطل الذي لبسوا به الحق هو كفرهم ببعض ما في التوراة وجحدهم له كصفات رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها مما كتموه وجحدوه ، وهذا بينه قوله تعالى (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) .

ثم قال: (وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ) أي: ظاهرا وباطنا

⇦ وفي هذا أن الصلاة موجودة في الأمم السابقة كما قال تعالى (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) .

- (وَآتُوا الزَّكَاةَ) مستحقيها،
- الزكاة : هي : قدر واجب في مال مخصوص ، لطائفة أو جهة مخصوصة .

⇦وسميت بذلك : لأنها تزكي المال ، وتزكي صاحب المال ، كما قال تعالى (خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ) ، بل وتزكي المجتمع كله ، فتنتشر المحبة والوئام والإخاء .

(وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) أي: صلوا مع المصلين، فإنكم إذا فعلتم ذلك مع الإيمان برسل الله وآيات الله ، فقد جمعتم بين الأعمال الظاهرة والباطنة، وبين الإخلاص للمعبود، والإحسان إلى عبيده، وبين العبادات القلبية البدنية والمالية. السعدي

فالصلاة والزكاة كانتا واجبتين على هؤلاء من بني إسرائيل، وهما واجبتان في شرائع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لأنهما من أصول الدين العِظام، ومبانيه الكِبار قد اتفقت عليها الشرائع (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ [سورة آل عمران:43] وكذلك الصيام قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ]سورة البقرة:183.

قال السعدي رحمه الله لم يقل: يفعلون الصلاة، أو يأتون بالصلاة، لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة

فإقامة الصلاة، ✉إقامتها ظاهرًا، بإتمام أركانها، وواجباتها، وشروطها.

✉وإقامتها باطنًا بإقامة روحها، وهو حضور القلب فيها، وتدبر ما يقوله ويفعله منها

✋فهذه الصلاة هي التي قال الله فيها: ﴿ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾

إن الله في هذه الآية علق حكم نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر بشرط إقامتها وليس فقط أداؤها، إقامتها بتدبر وحضور قلب وخشوع ، وهي التي يترتب عليها الثواب ، فلا ثواب للإنسان من صلاته، إلا ما عقل منها، ويدخل في الصلاة فرائضها ونوافلها.السعدي

الصلاة صِلة بين العبد وربه، فهي نعمة جليلة، ومِنة عظيمة ، فإذا قويت الصلة برب العالمين ، كانت المنعة والعزة والقوة والمهابة والسعادة ، والسمو والراحة والروح والنعيم، فيكون في جنة في الدنيا قبل جنة الآخرة؛ ولذلك كان النبي ﷺ يقول :(يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها) فانظروا في وجوه المصلين وغير المصلين والفرق واضح، في النفوس، والوجوه، والأبدان.

عن عُثمانَ بنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عنه، في حديثِ الوضوءِ، قال: قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : (مَن توضَّأ نحوَ وُضوئِي هذا، ثم قام فرَكَع رَكعتينِ لا يُحدِّثُ فيهما نفْسَه، غُفِرَ له ما تَقدَّم من ذنبِه)متفق عليه

عن عُقبةَ بنِ عامرٍ الجُهنيِّ رَضِيَ اللهُ عنه، أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال(:ما من أحدٍ يتوضَّأُ فيُحسنُ الوضوءَ، ويُصلِّي رَكعتينِ، يُقبِلُ بقلبِه ووجهِه عليهما، إلَّا وجبتْ له الجَنَّةُ) متفق عليه

قال رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم (ما مِن مسلِمٍ يتوضَّأُ فيسبغُ الوضوءَ ، ثمَّ يقومُ في صلاتِهِ فيَعلمُ ما يقولُ إلا انفَتلَ وهو كَيومِ ولدتهُ أمُّهُ) الترغيب والترهيب

والزكاة : طهارة للنفس من الشُح والبُخل ، وطهارة للمال ، والواجب أن نستشعر مِنة الله علينا ، كيف يُطهر بها نفوسنا وأموالنا في آنٍ واحد.

وقوله: (وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) أي: صلوا مع المصلين، ففيه الأمر بالجماعة للصلاة ووجوبها، وفيه أن الركوع ركن من أركان الصلاة لأنه عبّر عن الصلاة بالركوع، والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فرضيته فيها. السعدي

فأفتتح بذكر النِعم وأول الإنعام عليهم، تذكيرًا بالمِنة مما يقتضي الانقياد والاستجابة، واخُتتم أيضًا بالأمر بالانقياد للمُنعم وَارْكَعُوا والركوع يدل خضوع وتذلل للمُنعم المُتفضل -جل جلاله وتقدست أسمائه، وذكر بين ذلك جملة من الأمور المُتصلة بالاعتقاد (وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ) [سورة البقرة:41] وقضايا أخرى (وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً [سورة البقرة:41] إلى غير ذلك مما ذكره من التكاليف البدنية والمالية، مما يدعو إلى الاستجابة والانقياد والخضوع لله -جل جلاله وتقدست أسمائه.خالد السبت

قال تعالى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ) (44) يقول تعالى: كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب، وأنتم تأمرون الناس بالبر وهو جماع الخير ، أن تنسوا أنفسكم (أي : تتركونها) فلا تأتمروا بما تأمرون الناس به، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله ؟

(وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) أي : وتتركون أنفسكم ، فالنسيان هنا المراد به الترك.

✉ فالفعل المضارع يدل على الدوام والتجدد حينًا بعد حين، فهذا يدل على أن هذه الصفة تتكرر، وهذه الخلة والفعل والسلوك يتكرر منهم، يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم.خالد السبت

قال الشوكاني : الهمزة في قوله (أَتَأْمُرُونَ الناس بالبر) للاستفهام مع التوبيخ للمخاطبين ، وليس المراد توبيخهم على نفس الأمر بالبر، فإنه فعل حسن مندوب إليه ، بل بسبب ترك فعل البر المستفاد من قوله (وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُم) .

والحال: (وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ) : المراد بالكتاب هنا التوراة ، وهذا قول أكثر العلماء

قال الطبري : أي أفلا تفقهون وتفهمون .

قال ابن عباس : نزلت في اليهود ، كان الرجل يقول لقرابته من المسلمين في السر : اثبت على ما أنت عليه فإنه حق .

قال الشوكاني : قوله (وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الكتاب) جملة حالية مشتملة على أعظم تقريع، وأشد توبيخ، وأبلغ تبكيت : أي : كيف تتركون البر الذي تأمرون الناس به؟ وأنتم من أهل العلم العارفين بقبح هذا الفعل ، وشدّة الوعيد عليه ، كما ترونه في الكتاب الذي تتلونه ، والآيات التي تقرءونها من التوراة .

⇦وأسمى العقل عقلا لأنه يعقل به ما ينفعه من الخير، وينعقل به عما يضره ، فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله، أو نهاه عن الشر فلم يتركه، دل على عدم عقله وجهله، خصوصا إذا كان عالما بذلك، قد قامت عليه الحجة. السعدي

⇦وهذه الآية، وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل، فهي عامة لكل أحد لقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ)الصف

✉وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه ، وأمر نفسه ونهيها، فترك أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين ، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة الأول، وهو دون الأخير . السعدي

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يُجَاءُ بالرَّجُلِ يَومَ القِيَامَةِ فيُلْقَى في النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أقْتَابُهُ في النَّارِ، فَيَدُورُ كما يَدُورُ الحِمَارُ برَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أهْلُ النَّارِ عليه فيَقولونَ: أيْ فُلَانُ ما شَأْنُكَ؟ أليسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بالمَعروفِ وتَنْهَانَا عَنِ المُنْكَرِ؟ قالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بالمَعروفِ ولَا آتِيهِ، وأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وآتِيهِ) رواه البخاري ومسلم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتيتُ ليلَةَ أُسْرِيَ بي علَى رِجالٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُم بمقاريضَ من نارٍ قلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جبريلُ قال هؤلاءِ خطباءُ أمتِكَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ الناسَ بالبرِّ وينسونَ أَنْفُسَهُمْ وهم يَتْلُونَ الْكِتابَ أفَلَا يعقِلونَ (وفي روايةٍ تُقْرَضُ ألسنتُهُمْ بِمقَارِيضَ من نارٍ أوْ قال من حديدٍ) رواه أحمد .

وهذا الوعيد لمن أضمر أن لا يأتي معروف أمر به ، أو أضمر أن لا ينتهي عن معصية نهى عنها ، أو لقي الله وهو مصر غير نادم ولا مستغفر، أما من ضعف إيمانه وخالف قوله عمله

،فإن استغفر وتاب ، تاب الله عليه،والله قال(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) هذا في الامر أما النهي فهو سم قليله وكثيره يقتل الايمان فعليه أن ينتهي بالكليه .

قال مالك عن ربيعة: سمعت سعيد بن جبير يقول : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر. قال مالك: وصدق من ذا الذي ليس فيه شيء ؟

قال الحسن لمطرف بن عبد الله: عظ أصحابك، فقال: إني أخاف أن أقول مالا أفعل، قال يرحمك الله، وأينا يفعل ما يقول، ويود الشيطان أنه قد ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر .

فهنا :(أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ) [سورة البقرة:44] يُرشد إلى مُطابقة الحال مع المقال، وهذا هو الذي يكون فيه التأثير إن وجد معه الصدق والإخلاص، فلا بد من تطابق بين السلوك والقول، والقول والعمل، وهذا يحتاج إلى شيء من المُجاهدة والصبر، وكثرة المُحاسبة للنفس.

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله: "النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة"

(أَفَلا تَعْقِلُونَ) أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم، فتنتبهوا من رقدتكم ، وتتبصروا من عمايتكم .

قال الرازي: لأن المقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إرشاد الغير إلى تحصيل المصلحة وتحذيره عما يوقعه في المفسدة ، والإحسان إلى النفس أولى من الإحسان إلى الغير وذلك معلوم بشواهد العقل والنقل فمن وعظ ولم يتعظ فكأنه أتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال (أفلا تعقلون)

الحمدُ لله الذي حضَّ على الصبر وجعله مفتاحًا لأسمى المطالب، وأعظَمَ به للصابرين الأجر وأنالَهم أسنى الرغائب، وبشَّرهم بأن عليهم صلواتٍ من ربهم ورحمةً، وأنهم هم المهتدون، وأن العاقبة والظفر للصابرين.

قال تعالى (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (47) وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ (48) .

(وَاسْتَعِينُوا) أي اطلبوا العون على أموركم الدنيوية والأخروية .

(بِالصَّبْرِ) على فعل الطاعات ، وبالصبر عن المعاصي ، وبالصبر على أقدار الله المؤلمة .

والصبر شرعاً : هو حبس النفس على حكم الله .

وحكم الله نوعان : أحدهما : قدري ، والآخر شرعي .

قال تعالى (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ) (45)

✉الصبر هو الدواء لكل داء، هو دواء لداء النفس وداء الجسد، وانتظار الفرج يبث في النفس الأمل والتفاؤل المطلوب ، ليقوى الإنسان ،ويشتد ، ويواصل مشوار حياته على قيمه ومبادئه الراسخة، وعلى خطى القرآن والسنة الشريفة والحق المبين، ويستظل بظلال الأمن والسكينة والرضا الوارفة الممتدة في أعماق الخلد، ولتجتث منه آثار اليأس والقنوط والجزع، وتبدله فرحاً وصبراً جميلاً وأملاً في الله، ويدب في أوصاله النشاط والرضا والحيوية والسعادة التي ينتظرها ،والتي توصله إلى بر الأمان في حياته، ويزود بزاد ينفعه حتى بعد الممات.

📋قال السعدي : أمرهم الله أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه ، وهو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها ، والصبر عن معصية الله حتى يتركها ، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها ، فبالصبر وحبس النفس على ما أمر الله بالصبر عليه معونة عظيمة على كل أمر من الأمور ، ومن يتصبر يصبره الله .

✉الاستعانة: وهي طلب العون من الله تعالى في أمور الدنيا والآخرة، والتبرؤ من الحول والقوة والتفويض إليه، كما قال الله تعالى: (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) [هود:123].

⇦{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} العبد لا يستطيع جلب ما ينفعه ودفع ما يضره إلا بالاستعانة بالله سبحانه.

📋أنه لا يتحرك متحرك إلا بإذن الله ولا يسكن ساكن إلا بإذن الله؛ فالنار لا تحرق إلا بأمر الله، والسكين لا تقطع إلا بأمر الله، والشمس لا تضيء إلا بأمر الله.

✉قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له.

✉والكيس الفطن الذي يتضرع الى الله أن يعينه أن تكون الدنيا مزرعة الاخرة ، وان لا يشغله بناء الدنيا عن منازل الاخرة ، ولا تبنى منازل الاخرة الا بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر على طاعة الله حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، فبالصبر وحبس النفس على ما أمر الله ينال خير الدنيا والاخرة، ومن يتصبر يصبره الله، فلولا صبر الزارع على بذره ما حصد ، ولولا صبر الطالب على درسه ما تخرج ، ولولا صبر المقاتل في ساح الوغى ما انتصر ، وهكذا كل الناجحين في الدنيا إنما حققوا آمالهم بالصبر .

✉وإذا كان هذا في أمور الدنيا ، ففي أمور الآخرة أولى ، وخاصة أهل الإيمان ، فهم أشد الناس حاجة للصبر لأنهم يتعرضون للأذى والمحن والابتلاءات .

⇦وقال تعالى (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155) البقرة

✉ يقول الإمام ابن القيم –رحمه الله-: " الصبر حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية كاللطم وشق الثياب ونتف الشعر ونحوه، فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المحنة في حقه منحة،

واستحالت البلية عطية، وصار المكروه محبوبا، فإن الله سبحانه وتعالى لم يبتله ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبره وعبوديته ".الوابل الصيب .

⇦قال تعالى (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142)) ال عمران .

⇦وقال تعالى (وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)24 الرعد

✉نعم الجزاء وأروع المشاهد: الملائكة يدخلون على أهل الإيمان من كل باب مستبشرين بهم مسرورين يبادرون بالتحية { سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ } أي: صبركم هو الذي أوصلكم إلى هذه المنازل العالية، والجنان الغالية، {فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار} فحقيق بمن نصح نفسه وكان لها عنده قيمة، أن يجاهدها، لعلها تأخذ من أوصاف أولي الألباب بنصيب، لعلها تحظى بهذه الدار، التي هي منية النفوس، وسرور الأرواح الجامعة لجميع اللذات والأفراح، فلمثلها فليعمل العاملون وفيها فليتنافس المتنافسون.

🗐**الصبر نوعان : اختياري واضطراري :**

✉والاختياري أكمل من الاضطراري ، فإن الاضطراري يشترك فيه الناس ويتأتى ممن لا يتأتى منه الصبر الاختياري ، ولذلك كان صبر يوسف الصديق عن مطاوعة امرأة العزيز وصبره على ما ناله في ذلك من الحبس والمكروه أعظم من صبره على ما ناله من إخوته لـمّا ألقوه في الجب ، وفرقوا بينه وبين أبيه فباعوه بيع العبد .

🗐**قال ابن القيم والذي يبعث على الصبر أمور :**

❶ : إجلال الله تبارك وتعالى أن يعصى وهو يرى ويسمع .

❷ : مشهد محبته سبحانه فيترك معصيته محبة له .

❸ : مشهد النعمة والإحسان فإن الكريم لا يقابل بالإساءة من أحسن إليه .

❹ : مشهد الغضب والانتقام ، فإن الرب إذا تمادى العبد في معصيته غضب .

❺ : مشهد الفوات وهو ما يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة .

❻ : مشهد القهر والظفر ، فإن قهر الشهوة والظفر بالشيطان له حلاوة ومسرة وفرحة عند من ذاقه .

🗐يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:"فإنه لابد من أذى لكل من كان في الدنيا، فإن لم يصبر على الأذى في طاعة الله، بل اختار المعصية، كان ما يحصل له من الشر أعظم مما فر منه بكثير ، قال تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) [التوبة:49]

✉ومن احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله ، كما فعل يوسف عليه السلام وغيره من الأنبياء والصالحين ،كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيما وسرورا، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حزنا وثبورا". مجموع الفتاوى

🗐**فمن فضائل الصبر أنه من أعظم المعين على أمور الدنيا والآخرة ، وللصبر فضائل كثيرة** :

❶ : معية الله للصابرين .

قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

❷ : محبة الله لهم .

قال تعالى (وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ) .

❸ : إطلاق البشرى لهم .

قال تعالى (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) .

❹ : إيجاب الجزاء على أحسن أعمالهم .

قال تعالى (وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

❺: ضمان المدد والنصرة لهم .

قال تعالى (بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةُ مُسَوِّمِينَ) .

❻: استحقاقهم دخول الجنة وتسليم الملائكة عليهم .

قال تعالى (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً) .

وقال تعالى (وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)

❼ : حفظهم من كيد الأعداء .

قال تعالى (وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) .

❽: سبب للحصول على درجة الإمامة في الدين .

قال تعالى (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) .

✉**قال ابن تيمية :** بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين . ثم تلا هذه الآية (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24)السجدة .

❾ : أنه من أسباب النصر .

كما في حديث ابن عباس (واعلَمْ أنَّ في الصَّبرِ على ما تكرهُ خيرًا كثيرًا، واعلَمْ أنَّ النَّصرَ مع الصَّبرِ) .

❿ : أمر الله به المؤمنين .

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) .

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

❶❶: الصبر ضياء .

كما في حديث أبي مالك الأشعري . قال : قال ε (والصبر ضياء) رواه مسلم .

❶❷: أنه خير ما أعطي العبد .

قال ε (وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر) رواه مسلم .

✉فالحياة تزخر بالشدائد والصعاب والمواقف والتقلبات، والمحن والمتضادات والمفارقات التي تحتاج كثيراً من التأمل والصبر والأناة والتحمل، لنتمكن من مواجهة تلك الصعاب، وإن هي إلا أيام قد تطول أو تقصر ويأتي بعد الشدة نسمات الفرج.

☜والأجمل من الصبر انتظار الفرج الذي جعله الله عبادة يؤجر عليها المؤمن، ومع انتظار الفرج تشتم النفس والروح نسمات عليلة تخفف علينا مرارة الصبر، نشعر بأنس القرب من الله كلما كان هناك الإلحاح في الدعاء والابتهال إلى الله بالصبر وتفريج الكرب.

قال تعالى (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ) (45)

🗐العلة التي من أجلها جمع الله تعالى بين الصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ، أن الصَّبْرَ حبسُ النفسِ عَنِ الذنوبِ والْمَعَاصِي، ومن حَقَّقَ الصبرَ، كانَ مجتنبًا لكلِ شرٍ.

✉وَالصَّلاةُ رأس العبادات، وعَمُودُ الْإِسْلَامِ، وأعظم أركانه العملية، ومن حافظ عليها حافظ على ما سواها، ومَنْ ضَيَّعَهَا كانَ لِمَا سِوَاهَا أَضْيع.

✉فاجتمع بالصبر والصلاة اجتناب كل شر، وامتثال كل أمر.

(**وَالصَّلَاةِ**) أي استعينوا بالصلاة ، فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر .

⇦كما قال تعالى (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) .

✉الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، يستعان بها على كل أمر من الأمور .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال (كان رسول الله ε إذا حزبه أمر صلى) رواه أبو داود .

🗐**قال القرطبي** : خصّ الصلاة بالذكر من بين سائر العبادات تنويهاً بذكرها .

✉**وقال الشنقيطي**: في بيان سر أن الصلاة معينة على أمور الدنيا والآخرة : لأن العبد إذا وقف بين يدي ربه ، يناجي ربه ويتلو كتابه ، تذكر ما عند الله من الثواب ، وما لديه من العقاب ، فهان في عينه كل شيء ، وهانت عليه مصائب الدنيا ، واستحقر لذاتها ، رغبة فيما عند الله ، ورهبة مما عند الله .

الصلاة تذكرنا بأننا عبيد لله ، نضع أشرف ما فينا ساجدين خاضعين ، طالبين رضاه ،نعاهد الله في كل صلاة ان لا نكون مثل المغضوب عليهم ولا الضالين الذين لم يصبروا على امر الله ولا نهيه ولا أقداره ، فتذكرنا إذا نسينا ، وتعيدنا إذا ابتعدنا للطريق الموصل للجنة ، طريق الذين انعم الله عليهم .

قال الله سبحانه وتعالى : " وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُون * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ* وَاعْبُدْرَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ " (الحجر, الآيات:99,98,97) .

إن الصلاة هي حصن المسلم وملجؤه الذي يأوي إليه، والعروة الوثقى التي يعتصم بها، والحبل الممدود بينه وبين ربه الذي يتعلق به، وهي غذاء الروح، وبلسم الجروح، ودواء النفوس، وإغاثة الملهوف، وأمان الخائف، وقوة الضعي، وسلاح الأعزال.

فعن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم «إذا حزبه أمر صلى» (قال الشيخ الألباني: حديث حسن)

قال رسول صلى الله عليه وسلم يقول : " أقم الصلاة يا بلال ، أرحنا بها " رواه أبو داود .

✉**قال ابن القيم** : والصلاة مجلبة للرزق، حافظة للصحة، دافعة للأذى، مطردة للأدواء، مقوية للقلب، مبيضة للوجه ، مفرحة للنفس ، مذهبة للكسل ، منشطة للجوارح ، ممدة للقوى ، شارحة للصدر ، منورة للقلب ، حافظة للنعمة ، دافعة للنقمة ، جالبة للبركة ، مبعدة من الشيطان ، مقربة من الرحمن .

✉**وقال ابن القيم سر ذلك** : أن الصلاة صلة بالله ، وعلى قدر صلة العبد بربه عز وجل تفتح عليه من الخيرات أبوابها ، وتقطع عنه من الشرور أسبابها ، وتفيض عليه مواد التوفيق من ربه ، والعافية والصحة والغنيمة والغنى ، والراحة والنعيم ، والأفراح والمسرات كلها محضرة لديه ومسارعة إليه .

قال تعالى (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إلا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46)

(وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ) أي وإن الصلاة لكبيرة وثقيلة وشاقة .

(إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) فإنها خفيفة عليهم .

والخشوع هو: خضوع القلب وطمأنينته، وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه، ذلا وافتقارا، وإيمانا به وبلقائه، وكلما أمتلئ القلب بهذا ، حمل البدن على الصبر والصلاة ، فهانت الدنيا عليه وعظمت الاخرة في نفسه ، فأصبح يطيق ما لم يكن يطيقه من قبل أن يتعلم عن الله والدار الاخرة .

✉**قال الشوكاني** : (إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) لأنهم لما يعلمونه من تضاعف الأجر ، وتوفر الجزاء ، والظفر بما وعد الله به من عظيم الثواب ، تسهل عليهم تلك المتاعب ، ويتذلل لهم ما يرتكبونه من المصاعب ، بل يصير ذلك لذة لهم خالصة ، وراحة عندهم محضة .

✉**ولذلك قيل** : من عرف ما يطلب ، هان عليه ما يبذل ، ومن أيقن بالخلف ، جاد بالعطية .

✉**وقال ابن القيم** : وأجمع العارفون على أن الخشوع محله القلب وثمرته على الجوارح .

✉**والخاشع** : المنكسر الخاضع لأوامر الله الذليل المصدق بوعده ووعيده .

✉**قال السعدي** : والخشوع هو: خضوع القلب وطمأنينته، وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه، ذلا وافتقاراً ، وإيماناً به وبلقائه .

✉**وقال ابن عاشور** : والمراد بالخاشع هنا الذي ذلل نفسه وكسر سورتها وعودها أن تطمئن إلى أمر الله وتطلب حسن العواقب وأن لا تغتر بما تزينه الشهوة الحاضرة فهذا الذي كانت تلك صفته قد استعدت نفسه لقبول الخير.

🗐**وللخشوع فضائل** :

❶ : يسهل فعل الطاعة .

لهذه الآية (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ)

❷ : من علامات المؤمنين المفلحين .

قال تعالى (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ) .

❸ : من صفات الأنبياء .

قال تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) .

❹ : لهم مغفرة وأجراً عظيماً .

قال تعالى (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً) .

❺ : هو أول ما يرفع .

قال ε (يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى خاشعاً) .

❻ : عاتب الله الصحابة به .

قال تعالى (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ) .

❼ : حث النبي ε على الخشوع .

قال ε (هل ترون قبلتي ههنا ، فوالله ما يخفى علي ركوعكم ولا خشوكم) متفق عليه .

❽ : الخشوع من أسباب دخول الجنة .

قال ε (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : ... ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه) متفق عليه .

❾ : أثنى الله على من آمن من أهل الكتاب بخشوعه .

قال تعالى (وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً) .

❿: الخشوع من أسباب قبول العمل .

قال ε (من توضأ نحو وضوئي هذا، ثن صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه بشيء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه .

ولهذا قال: (الَّذِينَ يَظُنُّونَ) أي: يستيقنون

⇦هذا من تمام الكلام الذي قبله، أي وإن الصلاة لثقيلة إلا على الخاشعين الذين يظنون (أي : يوقنون) .

الظن : يُستعمَل في اليقين و الشَّكّ (اعتقاد راجح مع احتمال النقيض) والظن هنا بمعنى اليقين.

(أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ) أي يعلمون أنهم محشورون إليه يوم القيامة معروضون عليه فيجازيهم بأعمالهم.

(وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) أي أمورهم راجعة إلى مشيئته يحكم فيها ما يشاء بعدله، فلهذا لما أيقنوا بالمعاد والجزاء سهل عليهم فعل الطاعات وترك المنكرات .

✉قال السعدي (وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) فهذا الذي خفف عليهم العبادات وأوجب لهم التسلي في المصيبات، ونفس عنهم الكربات، وزجرهم عن فعل السيئات، فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغرفات العاليات، وأما من لم يؤمن بلقاء ربه، كانت الصلاة وغيرها من العبادات من أشق شيء عليه .

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ اللهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)مسلم وبخاري.

(وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) ليس لك مفر فأنت إليه راجع .

(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُواْ لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ} [الرحمن: 33].

تدبر سعيد مصطفى ذياب في آية (الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (46)

✉مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ مُلَاق الله تعالى، وأنه إليه راجعٌ، علم أنه سَوْفَ يُسْأَلُ لا مَحَالَةَ، يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ.

☜يأتي وقد دونت عليه أعماله، وأحصيت عليه آثامه، وسجلت عليه ذنوبه؛ {هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}. سُورَةُ الْجَاثِيَةِ: الآية/ 29

✍لا مجال لإنكارٍ، ولا سبيل لمراوغةٍ؛ {حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}. سُورَةُ فُصِّلَتْ: الآية/ 20

⇦فلا إله إلا الله، كَمْ مِنْ مستورٍ فِي الدُّنْيَا مفضوحٌ يومَ القيامةِ.

⇦وكَمْ مِنْ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الآخِرَةِ.

✉وهب أنك نجوتَ بإحسانِهِ، وعفَا عنك بغفرانِهِ.

📄بأي وجه تلقاه؟ وبأي عين تنظر إليه؟ 📄 وقد جعلته أهون الناظرين إليك.

هبِ البعثَ لم تأتِنا رسلُهُ ***** وجَاحِمَةُ الجحيم لم تُضرَمِ

أليسَ من الواجبِ المستَحِقِّ ***** حياءُ العبادِ من المُنعِمِ

✉فاحذر أن تكون ممن {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ}. سورة النساء: الآية/ 108

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) (47)

📄ثم كرر على بني إسرائيل التذكير بنعمته، وعظا لهم ، وتحذيرا وحثا.

قال الآلوسي : (يا بَنِي إسرائيل اذكروا نِعْمَتِيَ التي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُم) كرر التذكير للتأكيد والإيذان بكمال غفلتهم عن القيام بحقوق النعمة ، وليربط ما بعده من الوعد الشديد به لتتم الدعوة بالترغيب والترهيب ، فكأنه قال سبحانه : إن لم تطيعوني لأجل سوابق نعمتي ، فأطيعوني للخوف من لواحق عقابي ، ولتذكير التفضيل الذي هو أجل النعم ، فإنه لذلك يستحق أن يتعلق به التذكير بخصوصه مع التنبيه على أجليته بتكرير النعمة التي هي فرد من أفرادها.

قوله تعالى (نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ) من هذه النعم الإنجاء من فرعون ، وإنزال المن والسلوى ، وتظليل الغمام وغيرها .

✉**المراد بالذكر هنا :** ذكر يحمل على الشكر ، ومن شكر تلك النعمة المأمور به : تصديق النبي صلى الله عليه وسلم واتباعه فيما جاء به .

(وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ) أن الله فضل بني إسرائيل على عالم زمانهم ، بينما الأمة المحمدية مفضلة على سائر الأمم .

📄والأدلة على ذلك كثير:

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله) رواه أحمد .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ)مسلم

وقال ε (أعطيت ما لم يعط أحد من الأنبياء ، ... وسميت أحمد ، وجعلت أمتي خير الأمم) رواه أحمد .

وقال ε (يدخل الجنة من أمتي زمرة وهم سبعون ألفاً ، تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر) رواه البخاري .

قال تعالى (وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ (48) .

لما ذكرهم تعالى بنعمه أولاً ، عطف على ذلك التحذير من طول نقمه بهم يوم القيامة ، فقال (وَاتَّقُوا يَوْماً) يعني يوم القيامة من أهواله وشدائده ، واتقاء يوم القيامة يكون بالاستعداد له .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يرويه عن ربه جل وعلا أنه قال : (وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين ، إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة ، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة)السلسلة الصحيحة

قال من السلف : " الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه ، وما فارق الخوف قلباً إلا خرب "

قال الرازي : اعلم أن اتقاء اليوم اتقاء لما يحصل في ذلك اليوم من العقاب والشدائد لأن نفس اليوم لا يتقى ولا بد من أن يرده أهل الجنة والنار جميعاً .

قال تعالى (وَاتَّقُوا يَوْماً) يعني يوم القيامة من أهواله وشدائده ، واتقاء يوم القيامة يكون بالاستعداد له .

قال السعدي : هذا اليوم الذي (لا تَجْزِي) فيه، أي: لا تغني (نَفْسٌ) ولو كانت من الأنفس الكريمة كالأنبياء والصالحين (عَنْ نَفْسٍ) ولو كانت من العشيرة الأقربين (شَيْئًا) لا كبيرا ولا صغيرا وإنما ينفع الإنسان عمله الذي قدمه.

وقال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً) ⇦فهذا أبلغ المقامات أن كلاً من الوالد وولده لا يغني أحدهما عن الآخر شيئاً .

قال صلى الله عليه وسلم (مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) مسلم

(يا فاطمة بنت محمد اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئًا، يا صفية عمة رسول الله اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئًا، يا عباس عم رسول الله اعمل فإني لا أغني عنك من الله شيئًا، لا يأتيني الناس يوم القيامة بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم، واعلموا أنه لن يدخل أحدكم الجنة بعمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل» (رواه مسلم).

((يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي؟ فَيَقُولُ أَبُوهُ : فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ – متوسلاً طالباً من الله سبحانه وتعالى شافعاً لوالده - : يَا رَبِّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ فَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ ، فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيخٍ مُلْتَطِخٍ – الذيخ ذكر الضباع ، يتحول والده على هيئة ذكر الضباع - فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ))

وعن قتادة في قول الله عز وجل:(يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) قال:(يفر هابيل من قابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من أمه، وإبراهيم عليه السلام من أبيه، ولوط عليه السلام من صاحبته، ونوح عليه السلام من ابنه (لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ [عبس:37] يشغله عن شأن غيره. وفي الحديث (الصحيح) في أمر الشفاعة

((أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق يقول: نفسي نفسي لا أسألك إلاّ نفسي، حتى إن عيسى بن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني)
ابن كثير

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا}. سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةَ/ 48

✉تدبر سعيد مصطفى الاية قال: ستقفُ يومًا بين يدي ربك وحيدًا، وستأتي يوم القيامة منقطعًا فريدًا.

⇦يومئذٍ لا ينفعك ولد ولا والد ⇦ولا ينجيك مالٌ ولا جاهٌ⇦ولا يغني عنك نسبٌ شريفٌ أو حسبٌ كريمٌ.

قال صلى الله عليه وسلم (تَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْكَ، فَلَا تَرَى إِلَّا مَا قدَّمتَ، وَتَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْكَ، فَلَا تَرَى إِلَّا مَا قَدَّمتَ، وَتَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْكَ فَلَا تَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِك)

قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ}.
سورة الْأَنْعَامِ: الآية/ 94

✉يفر عنك من كان يتقرب إليك، وينفر منك من كان يرجو رضاك.

✉ولا ترى لك وسيلة تنجيك، ولا سببًا تتعلق به إلا رحمة الله، ثم ما كنت تقدمه لله من عمل.

{فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ}. سورة الذَّارِيَاتِ: الآية/ 50

✉فلا ينفعكم غيره، ولا يغني عنكم سواه.

قال تعالى (وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ) (48) .

(وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا) أي: النفس، شفاعة لأحد بدون إذن الله ورضاه عن المشفوع له، ولا يرضى من العمل إلا ما أريد به وجهه، وكان على السبيل والسنة،

إن الشفاعة المنفية هي الشفاعة للكفار

قال تعالى {وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأنعام: 51]

(فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (102)

والشفاعة لغيرهم بدون إذن رب السموات والأرض .

كما قال تعالى (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)

📄أما الشفاعة للمؤمنين بإذنه فهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع ، والشفاعة لا تكون إلا بشرطين :

❶الشرط الأول : أن يأذن الله بها .

❷والشرط الثاني : أن يكون راضياً عمن شفع وعمن شفع له .

(وَلا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ) أي: فداء

قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) 36المائدة

(وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ) أي: يدفع عنهم المكروه، فنفى الانتفاع من الخلق بوجه من الوجوه،

فقوله: (لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا) هذا في تحصيل المنافع،(وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ) هذا في دفع المضار، فهذا النفي للأمر المستقل به النافع. السعدي

📄فهذا يوجب للعبد أن ينقطع قلبه من التعلق بالمخلوقين وأن يتعلق بالخالق، لعلمه أنهم لا يملكون له مثقال ذرة من النفع، وأن يعلقه بالله الذي يجلب المنافع، ويدفع المضار، فيعبده وحده لا شريك له ويستعينه على عبادته.

📄 في هذه الآية أعظم تحذير عن المعاصي وأقوى ترغيب في تلافي الإنسان ما يكون منه من المعصية بالتوبة لأنه إذا تصور أنه ليس بعد الموت استدراك ولا شفاعة ولا نصرة ولا فدية علم أنه لا خلاص له إلا بالطاعة، وترك المعصية . (الرازي بتصرف).

✉وفي الآية التحذير من يوم القيامة ، ووجوب الاستعداد لهذا اليوم ، واليقين أن يوم القيامة لا ينفع الإنسان إلا عمله ، فلا ينفع مال ولا ولد ولا ملك ، وإنما الذي ينفع العمل الصالح .

✉فيُدعى عبد من العباد على رءوس الأشهاد، فلان ابن فلان، فيقف هذا العبد بين يدي الله، والشهود حاضرة، والأبصار شاخصة، يقف العبد حسيراً كسيراً أسيراً ذليلاً حافياً عارياً بين يدي جبار السماوات والأرض، لكي يسأله ويحاسبَه ويجازيه.

✉فليس علينا إلا الاستعداد ليوم الرحيل وهذا الاستعداد لابد من ترجمته ترجمه عمليه بأن نجعل بيننا وبين عذاب الله تعالي وقاية ، فنقوي هممنا بكثرة الإنابة ، وبر الوالدين ، وصله الأرحام ، والصدقة ، والإحسان إلي الفقراء والأرملة واليتيم ، وغض البصر وحفظ الفرج ، وكف الأذى وحفظ اللسان ، والوفاء بالعهد وقيام الليل ، وقراءة القرآن ، وصيام النهار ..

بل علينا أن نسارع إلي كل أبواب الخير لنغنم محبة الله سبحانه ورضاه , ولنكون يوم القيامة مع الفائزين ويوم الحشر مع الآمنين , ونكون ممن ينادي عليهم : " يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون " الزخرف 68